سرقتم صاع الملك انما قال ففقده لانه لم يكن يعلم انهم سرقوا او انه اطلع على ما
صنعه يوسف عليه السلام فاحترز في قوله فقال انكم لسارقون ولم يذكر المفعول
ليصح ان يضمر سرقتهم يوسف ثم قال نفقد صواع الملك وهو صادق في ذلك كذلك
احترز يوسف في قوله معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل
الا من سرق وعلى التقديرين فالكلام من احسن المعاريض وقد قال نصر بن
حاجب سئل سفين بن عيينة عن الرجل يعتذر الى اخيه من الشئ الذي
قد فعله ويحرف القول فيه فقال اذا اصلح بينه وبين اخيه خير من ان يصلح
بين الناس بعضهم في بعض وذلك لانه اراد به مرضاة الله وكراهته اذى المؤمن
وندم على ما كان منه ويدفع شره عن نفسه ولا يريد بالكذب اتخاذ المنزلة
عندهم ولا بطمع شئ يصيبه منهم فانه لم يرخص في ذلك ورخص له اذا كره موجدتهم
وخاف عداوتهم قال خفر بقة اني اشتري ديني بعضه ببعض مخافة ان اتقدم على
ما هو اعظم منه فكره ايضا ان يتغير قلبه عليه قال سفيان وقال الملكان خصمان
بغا بعضنا على بعض و ساص مبي ولم يكونا خصمين فلم يصيرا بذلك
كاذبين وقال ابراهيم اني سقيم وقال بل فعله كبيرهم هذا وقال يوسف انكم
لسارقون اراد معنى امر فبيّن سفين ان هذا كله من المعاريض المباحة مع
تسميته كذبا وان لم يكن في الحقيقة كذبا كما تقدم التنبيه على ذلك وقد صحح
بعض الفقهاء بقعته يوسف على انه جايز لان التوصل الى اخذ حقه من الغير
بما يمكنه الوصول اليه بغير رضى من عليه الحق وهذه الحجة ضعيفة فان يوسف
لم يكن يملك حبس اخيه عنده بغير رضاه ولم يكن هذا الاخ ممن ظلم يوسف حتى
يقال قد اقتص منه وانما سايره الاخوة هم الذين كانوا قد فعلوا ذلك نعم
كان تخلفه عنده يؤذيهم من اجل تاذي ابيهم والميثاق الذي اخذه عليهم
وقد استثنوا في الميثاق الا ان يحاط بكم وقد احيط بهم ويوسف عليه السلام
لم يكن قصده باحتباس اخيه الانتقام من اخوته فانه كان اكرم من هذا وكان
في ضمن هذا من الايذاء الا بيه اعظم مما يوذى به اخوته وانما هو امره الله تعالى
به ليبلغ الكتاب اجله ويتم البلاء الذي استحق به يعقوب ويوسف عليهما السلام

كمال

كمال الجزاء وتبليغ حكمة الله التي قضاها لهم نهايتها ولو كان يوسف قصد الاقتصاص
منهم بذلك فليس هذا موضع الخلاف بين العلماء فان الرجل له ان يعاقب مثل ما
عوقب به وانما موضع الخلاف هل يجوز له ان يسرق او يجوز سرقة او خيانة مثل
ما سرقه اياه او خانه اياه ولم يكن قصته يوسف من هذا الضرب نعم لو كان
يوسف اخذ اخاه بغير امره لكان لهذا التمحيح شبهة مع انه لا دلالة في ذلك
على هذا التقدير ايضا فان مثل هذا لا يجوز في شرعنا بالاتفاق ان يحبس رجل
بريء ويعتقل للانتقام من غيره من غير ان يكون لجرم وقد بيّنا ضعف
هذا القول فيما مضى وان كان حقا فيوشك ان يكون الله سبحانه امره
باعتقاله وكان هذا ابتلاء من الله لذلك المعتقل كما امر ابراهيم عليه السلام
بذبح ابنه فيكون المبيح له على التقدير وحيا خاصا كالوحي الذي جاء ابراهيم
بذبح ابنه وتكون حكمته في حق المبتلى امتحانه وابتلاؤه لينال درجة الصبر
على حكم الله والرضاء بقضائه فيكون حاله في هذا كحال ابنه يعقوب في حبس
يوسف عنه وهذا الذي ذكرناه بيّن يعلم من سياق الكلام ومن حال يو
وقد دل عليه قوله سبحانه كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك
الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم فان الكيد
عند اهل اللغة هو من المكر وقد نسبه الله سبحانه الى نفسه كما نسبه الى نفسه
في قوله يكيدون كيدا واكيد كيدا وكما دل عليه قوله سبحانه وتعالى ام يريدون
كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ومثل ذلك قوله سبحانه واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير
الماكرين وقوله سبحانه في قصة صالح وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون
في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله الآية الى قوله ومكروا ومكرنا
مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم الآية ثم ان لفظ الماكر
يقول انما سمي الله سبحانه فعله بالماكرين والكايدين والمستهزئين مكرا
وكيدا واستهزاء مع انه حسن وفعلهم قبيح لمشاكلته له في الصورة ووقوعه
جزاء له كما في قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها سمي الثاني سيئة وهو ليس بقبيحة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)